دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، خريف ۱۳۹۱، العدد الخامس عشر، صص ۹- ۲۰

إستدعاء الشخصيات القرآنية فی ديوان معروف الرصافی

علی پيرانی شال*

نعمان انق**

راضيه مسكنی***

الملخص

درسنا فی هذا المقال القصص القرآنية و شخصياتها، و ميادين استعمالها فی ديوان *معروف الرصافی*؛ و بَيّنّا مدَی تأثّر الشاعر بها و تلاؤمها بمضمون قصائده، و استخدامه فنّياً و موضوعياً فی خلق أجواء معنوية فی شعره، و ايصال المراد من الشعر الی المتلقّی. قد استحضر الشاعر قصّة *آدم*(ع) و هبوطه من الجنّة إلی الأرض، *سليمان*(ع) و *بلقيس* ملكة سبأ، *يوسف*(ع) و جماله، *موسی*(ع) و *عيسی*(ع) و معجزاتهما، و *محمد*(ص) و كمالاته. قد اختار الشاعر من القصة أجزاء تساهم فی إثراء نصّه الشعری و أهدافه و قد أشار بصورة تلميحية فی كثير من أشعاره، و قد عوّل فی اشاراته القصصية علی وعی القارئ و معرفته بالقصة القرآنية.

الكلمات الدليلية: القرآن، القصة، الشخصية، قصة آدم، قصة سليمان، معروف الرصافی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* عضو هيئة التدريس فی قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الخوارزمی بطهران(استاذ مساعد).

** دكتوراه فی اللغة العربية و آدابها، جامعة الحكيم السبزواری. neman.onegh@yahoo.com

*** ماجستيرة فی اللغة العربية و آدابها، جامعة الحكيم السبزواری.

الكاتب المسؤول: نعمان انق

تاريخ الوصول: ۹۱/۱/۱۵ تاريخ القبول: ۹۱/۵/۳

المقدمة

من خلال هذه الدراسة التی امتزج فیها القرآن بالشعر، نرید أن نکشف عن قدرة معروف الرصافی فی توظیف القصة القرآنیة و شخصیاتها فی دیوانه، بما یتلائم مع سیاق قصائده. ذکرنا فیها القصص القرآنیة و شخصیاتها التی استحضرها الشاعر و بیّنّا المنبع القرآنی و الآیة التی استقی منها قصته. الشخصیات و القصص القرآنیة التی استحضرها الشاعر هی *آدم*(ع) و قصة هبوطه من الجنة الی الأرض؛ *سلیمان*(ع) و بلقیس ملکة سبأ، *یوسف*(ع) و جماله، *موسی*(ع)، *عیسی*(ع) و معجزاتهما و محمّد(ص) و کمالاته؛ و تسعی هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالیة: کیف اختار الشاعر القصص القرآنیة ما یتناسب مع موقفه الشعری و مضمون قصائده؟ هل نجح الشاعر فی توظیف القصص و الشخصیات القرآنیة؟ و کیف استخدمها فی قصائده؟ أما عن سوابق البحث التی وجدناها و قرأناها حتی لا نقع فی فخّ التکرار و العمل الموازی، بل استفدنا منها للمزید من التعمیق و الکشف عمّا لم یتناوله الدارسون قبلنا تجدر الإشارة الی مقال «الرصافی و تأثره بالقرآن الکریم» *لولید الأعظمی*، و مقال «استدعاء الشخصیات القرآنیة فی دیوان بدوی الجبل» *لعبدالغنی ایروانی زاده* و *احمد نهیرات*، و کلّها مع جودتها و احتوائها علی مباحث قیّمة أهملت البحث فی القصص الرصافی القرآنیة.

فی بدایة البحث تطرّقنا إلی نبذة عن حیاة الشاعر، و شخصیته الدینیة و الأخلاقیة؛ ثم تطرقنا إلی الشخصیات و القصص القرآنیة فی دیوان الشاعر.

نبذة عن حیاة الشاعر

معروف بن عبدالغنی الرّصافی وُلد فی بغداد عام ۱۸۷۶م، من عائلة یرجع أصلها إلی اکراد العراق و یقال أنها علویة النسب. نشأ الشاعر فی الجانب الشرقی من المدینة، الذی یعرف بالرصافة و إلیه نسبته؛ و یعتقد *إیمان یوسف البقاعی* بأن *محمود شکری الألوسی* هو الذی لقّبه ب*الرصافی* نسبة إلی الرصافة(یوسف البقاعی،۱۹۹۴م: ۲۷۷). قد تلقی الشاعر دروسه الإبتدائیة فی الکتاتیب ثمّ فی المدرسة الرشیدیة العسکریة، لکنّه لم یحرز شهادتها بل ترکها و تتلمّذ *لمحمود شکری الألوسی*، نحو ثلاث عشرة سنة فی علوم اللغة العربیة و آدابها؛ و لمّا أنهی دراسته هذه، دعته الحاجة المادیة الی التدریس فی عدّة

مدارس إبتدائية، و حينما أعلن الدستور سنة ١٩٠٨م دُعي إلى الآستانة لتدريس اللغة العربية و للإسهام في تحرير مجلة «الإرشاد»، و أُنتخب نائباً عن سواء المتفقين في مجلس المبعوثان العثماني، و لمّا انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، عزم على العودة إلى العراق فتوجّه إلى دمشق و لبث فيها سبعة أشهر، ثم ذهب إلى القدس لتدريس آداب اللغة العربية في دار المعلمين، و في ١٩٢١م استدعته الحكومة العراقية و عيّنه نائباً لرئيس لجنة الترجمة و التعريب ثم مفتّشا في المعارف و في سنة ١٩٢٨م استقال من الأعمال الحكومية. «بعد الإحتلال الإنجليزي منذ عام ١٩٣٠م - ١٩٤٠م و فشل ثورة *الكيلاني* على الإنكليز، اعتكف *الرصافي* في منزله في حيّ الأعظمية في بغداد، و انتابه العلل و الأمراض و ضاقت عليه سُبل العيش؛ و قيل أنه فتح حانوتاً باع فيه الدخان و توفّي عام ١٩٤٥م في ١٦ آذار»(المصدر نفسه:٣١).

شخصيته الدينية والأخلاقية

شخصية الشاعر الدينية و الأخلاقية تكوّنت في أسرته منذ طفوليته، و لابدّ أن يكون قد قرأ القرآن الكريم و أمعن النظر في مبانيه و معانيه، و تملى حسن تعابيره و جمال تصويره و تأثير القرآن الكريم في قصائده واضح و جلي؛ و هذا يشير إلى ما يختزنه صدر *الرصافي* من العبارات القرآنية بحيث لم يستطع الشاعر أن ينفك عنها فجاءت على لسانه (الأعظمي،١٣٧٧هـ : ٤٨). درس الشاعر العلوم الاسلامية على أجلّة علماء بغداد الأعلام *كالمرحوم الشيخ محمود شكري الألوسي*، و تقول *الدكتورة سلمى خضراء الجيوسي* حول حياة *الرصافي*: «و لابدّ من أن أستاذه *الألوسي* المعنّي بالاصلاح الديني قد بثّ فيه، و هو تلميذاً له روح الحماس للإصلاح؛ فتعاطف *الرصافي* مع المعذّبين و شقاء النساء و العمال المضطهدين و الفقراء عموماً، جعله من أوائل روّاد الاصلاح و التقدّم في العقود الأولى من القرن الشعرين»(خضراء الجيوسي،٢٠٠٧م:٢٥٤).

الشخصيات و القصص القرآنية في ديوان الشاعر

لا يخفى ما للقرآن من أثر عميق في أسلوب الرصافي، فقد استمدّ الشاعر قريحته من القرآن الكريم و انتقى تعابيره من القرآن، و نقل مضمونه الى المتلقّي مدعوماً بنفحة

قرآنية مشحوناً بروح معنوية، فقد استحضر الشاعر هذه القصص فی ديوانه و يسمع صدی القرآن فی أشعاره؛ اذ أنّه كان يؤمن بأن هذا الجانب من المضامين القرآنية كجوانبه الأخری يزيد شعره جمالاً و رونقا ويثری شعره، لأنّ الميزات التی اختصت بها بناء الشخصية فی القصة القرآنية تظلّ متفرّدة فی عمقها، رفيعة فی قيمتها كما يقول الله تعالی فی كتابه العزيز:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف/۱۱۱)

قد نجح الشاعر فی توظيف القصة القرآنية و شخصياتها فی ديوانه. يختار من القصة القرآنية ما يتناسب مع موقفه الشعری، و يترک الأجزاء الأخری بما يتلائم سياق القصائد، و تدلّ الإشارات علی وعی الشاعر و مدی معرفته بالقرآن الكريم، و قصصه الی حدّ استحضارها فی قالب شعری ممتاز؛ ثمّ يعول فی إشاراته القصصية علی وعی القارئ و معرفته بالقصص القرآنية. نتطرّق الآن الی القصص و الشخصيات القرآنية التی استند إليها الشاعر فی ديوانه:

آدم(ع) وقصة هبوطه من الجنّة إلی الأرض

فی قصيدة«من أين وإلی أين» يسأل الشاعر عن مبدأ و مقصده، و يقول:

من أين من أين يا ابتدائی ثم إلی أين يا انتهائی
أمن فناء إلی وجود و من وجود إلی فناء

و يجيب إلی هذا السؤال بعد تحيّره هكذا:

نحن بنی الأرض قد علمنا بأننا من بنی السماء
(الرصافی،۲۰۰۲م،ج۱ :۱۳)

و فی ذلک استحضار لقصة خلق *آدم*(ع)، بعد أن خلق الله السموات و الأرض ثمّ اتّجهت مشيئته إلی خلق آدم، فقال للملائكة:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة/۳۰)

و القضايا التی مرّت *لآدم* و *حوّاء*(ع) فی الجنّة، كما شُرحت فی سورة البقرة الآيات ۳۰ إلی ۳۷ حتی أصدر الله أمره لهما بالهبوط من الجنة إلی الأرض، كما يقول فی كتابه

العزيز:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(البقرة/٣٦-٣٥)

و *الرصافی* بهذا الإستحضار لقصة *آدم*(ع) فی البیت الواحد من القصیدة، استحضر المفاهیم و القضایا الکثیرة التی أدّت من المعانی ما لم تستطع الجمل الکثیرة تأدیتها، و یعوّل فی إشارته القصصیة علی وعی القارئ و معرفته بالقصة.

سلیمان(ع) و بلقیس ملکة سبأ

استدعی الشاعر قصة *سلیمان*(ع) و ملکة سبأ فی دیوانه مرتین؛ إلاّ أنّ الشاعر قد استحضر القصة سلبیاً فی إحدی قصائده کما سنشیر:

الأولی: فی قصیدة «فی مدرسة الإمام الأعظم» مما کتب إلی *العلامة الشیخ سعید النقشبندی*، مهنّئاً له بتعیینه مدرّساً فی مدرسة الإمام الأعظم أبوحنیفة، یقارن الشاعر بین ممدوحه و النبی *سلیمان*(ع) و یقول:

یطرد الجهل به مثلما ... یطرد بسم الله ابلیس
و لیس للبرهان فی حاجة ... إنّ ضیاء الشمس محسوس
انت سلیمان العلی و النهی ... آصف و الآداب بلقیس

(المصدر نفسه، ج٢: ٥٥٥)

کان *سلیمان*(ع) إلی جانب نبوّته، ملکاً من أعظم ملوک الدنیا الذین مکّن الله سبحانه و تعالی فی الأرض، و کانت الریح من أعجاز الله و قدرته *لسلیمان*(ع) تأتمر بأمره؛ کما یقول الله تعالی:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾(ص/٣٦)

یشبه الشاعر فی هذه القصیدة ممدوحه *بسلیمان*(ع)، و النهی بالریاح المسخّر فی یده و یشبه الآداب *ببلقیس*، و هی ملکة سبأ لها الملک المتمکن و مستلزماته من متاع الدنیا، و هی نموذج للشخصیة المتحوّلة من الکفر إلی الایمان کما یشرحه الله تعالی فی سورة النمل فی الآیات ٢٠ إلی ٤٤؛ و ما أجمل التشبیه التی استمدّ الشاعر لبیان عمّا یجول فی

خاطره من زيادة علم الممدوح *العلامة الشيخ سعيد النقشبندى*.

الثانى: *للرصافى* عدة قصائد قالها فى وصف ما شاهد فى الآستانة، من الحريق الذى يكثر وقوعه فى تلك المدينة. ثُبت هذه القصائد فى ديوانه تحت عنوان «الحريقيات»؛ فمنها قصيدة «وقفة عند شراغان» التى استحضر فيها الشاعر قصة *سليمان*(ع) و ملكة سبأ؛ و شراغان قصر ملوكى عند ضفة البسفور فى الآستانة، بناها *السلطان عبدالعزيز*، و هو أعظم القصور فخامة فى الآستانة و أدقّها صنعة و أبهجها منظراً، و يقال أنه صرف على بنائه ملائين و لمّا أعلن الدستور العثمانى اتخذ مجلساً للنوّاب، و كان ذلک بسعى من *أحمد رضا* بک رئيس مجلس النواب، فشبّ به حريق و كان *الرصافى* فى الآستانة؛ فقال هذه القصيدة و فى إحدى أبيات القصيدة يقول:

و لو كان عرشا لبلقيس لما خضعت للأمر حين أتاها من سليمانا

(المصدر نفسه،ج۱ :۲۸۸)

كما قلنا كانت *بلقيس* ملكة سبأ و لها الملک المتمكن و مستلزماته من متاع الدنيا، و أوتيت لها غنى و سلطان و نفوذ و جمال أمّا آية الآيات و أعجب الأعاجيب التى أوتيت بها فهو عرشها؛ الذى تجلس عليه و تتبوّؤه، ليس فى الدنيا ملكا له مثل ذلک العرش فخامة و روعة و أبهة، كما يقول الله تعالى فى كتابه العزيز حول بلقيس:

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾(النمل/۲۳)

يوسف(ع) و جماله

إن الشخصية فى القصة القرآنية تدور أحياناً حول الصفات الجسمية، و إحدى هذه المواضع هى قصة جمال *يوسف(ع)* كما يقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(یوسف/۳۱)

استحضر *الرصافى* هذا الجانب من قصة *يوسف(ع)* فى قصيدة، و قال يخاطب مرأة فى جمالها و يصف جمالها و يقول:

لو كنت فى أيام يوسف لم تكن بجمال يوسف تضرب الأمثال

(المصدر نفسه،ج ۲: ۵۳۹)

إلا أن الشاعر قد أساء أيضا استخدام القصة القرآنية بكلامه: «لم تكن بجمال يوسف تضرب الأمثال»، فمرّ تعريف التأثير السلبى بالقرآن.

موسى(ع) و معجزاته

قصة *موسى(ع)* أوسع قصة وردت فى القرآن الكريم فى مضمونها و عدد المرات التى تناوله القرآن. استحضر *الرصافى* هذه القصة أربع مرات فى ديوانه فى كلّ مرة يختار من القصة ما يتناسب مع موقفه الشعرى و مضمون قصيدته؛ الأولى فى قصيدة «عصاى الفتية» يشبه عصاه بعصا *موسى(ع)* فى القدر و يقول:

هى تحكى عصا ابن عمران قدرا ... فلذا صيغ رأسها رأس حية
فسأمشى بها قويا سويا ... بعدما كنت ماشيا كالحية

(المصدر نفسه:٥٥٢)

قد وهب الله كل نبىّ علما متميزاً فى ذاته، و مميزا عمّا اختص به قومه و أعطى *موسى(ع)* علماً و برهانا معجزا، و إحدى معجزاته الظاهرة إلى *فرعون* و قومه العصا فى مقابل سحرهم و تخييلهم للناس بالحبال و العصى، على أنّها حيات و ثعابين تسعى و قال سبحانه و تعالى:

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه/٦٦ و٦٧)

و فى استحضار القصة بهذا الشكل تقديس عظيم للممدوح و هو نفس الشاعر. الثانى يقول الشاعر فى قصيدة «وجه نعيم» بأن السحر يرجع إلى عهد الكليم و الكليم صفة *موسى(ع)* و هكذا استحضر قصة *موسى(ع)*:

أسبغ الله نعيم الـ ... ـحسن فى وجه نعيم
قمر أغنى عن الاشـ ... ـراق فى ليل بهيم
علم الناس صحيح الـ ... ـحب بالطرف السقيم
يرجع السحر بعينيه ... إلى عهد الكليم

(المصدر نفسه:٥٠٢)

الثالث: فی قصیدة «الحرب فی البحر» التی یصف الشاعر فیها وقعة توشیما، التی وقعت بین الروس و الیابان و یقول:

دلعت ألسنا مـــن النـار حمـرا ... ویل مـن قـد غـدا بهـا ملحوسـا
ترسل الموت فی قنابل کالشهـــ ... ـــب ذریعـا مـــستأصلا عتریسـا
طالـما بانفجارهـا انفلـق البحـــ ... ـر انفلاقـا مـذکرا عـــهد موسـی

(المصدر نفسه:۳۶۸)

و یصف الشاعر فی هذه القصیدة المأساة و الصعوبات التی أدّت إلیها الحرب، و شدة وقوع الحرب فی البحر و فی البیت الأخیر هنا یستحضر قصة *موسی(ع)* و انفلاق البحر بأمر الله، و نجاتهم من جنود فرعون کما یقول الله سبحانه:

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾(الشعراء/ ۶۶- ۶۱)

و شاعرنا *الرصافی* یستمدّ من هذه القصة لیعبّر عن شدة انفلاق البحر بواسطة قنابلهما فی الحرب، و هذا التعبیر یبیّن مدی ابداع الشاعر فی القصیدة عند ما نقارن بین الموقفین لکل من القصة القرآنیة، و الموقف الوصفی للشاعر و قصیدته.

الرابع: فی قصیدة «نحن فی بغداد» یشبه الشاعر نفسه و مواطنیه بالسائمة، التی یتحکم بها الطغاة و یقول بأنهم لایمتدون نظرهم إلی العُلی و الغرب یغتنم الفرصة، و رکض خیل المساعی و یشبه أنفسهم بالیهود و کأن کلّ أیامه یوم السبت:

أیا سائلا عنّا ببغـــداد إنـــنا ... بهائم فی بغداد أعـــــوزها النبت
علت أمة الغـرب السماء و أشرقت ... علینا فظلنا نـنظر القوم مـن تـحت
و هم رکضوا خیل المساعی و قد کبا ... بنا فرس عن مقنب السعی منبت
فنحـن أناس لم نـــزل فی بطانة ... کأنا یـــهود کـــل أیامنا سبت

(المصدر نفسه،ج۱ :۱۶۱)

و هذا إستحضار لقصة أصحاب السبت کما یقول الله تعالی:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(البقرة/۶۵)

«کان من تعالیم *موسی(ع)* التی شرعها الله لبنی اسرائیل، أن ینقطعوا یوما من کل

أسبوع لعبادة الله، يعكفون فيه على حمده و تعداد نعمه و آلائه حتى تتطهر قلوبهم بـذكر الله و تسبيحه و لا يشغلهم فى هذا اليوم شاغل من شواغل الدنيا؛ كان هذا يـوم السـبت و ظل بنو اسرائيل ملتزمين بذلک أعواما و دهـورا إلـى أن أراد الله أن يختبـر أهـل إحـدى القرية اليهودية الواقعة على البحر، و يتأكد من صدق ما عاهد الله، و كان أهل تلک القريـة يعتمدون فى معاشهم على صيد الأسماک و لا يصطادون السمک فى يوم السبت، إلا أنهم لاحظوا أن الأسماک تكثر و تقترب من الشاطئ باعداد وفيـرة، و يختفـى فـى بـاقى أيـام الأسبوع، احتالوا على الصيد فى يوم السبت، فوضـعوا المصـائد و حفـروا القنـوات لتـدخل الأسماک فيها، و بعد انتهاء يوم السبت يأخذوها دون عناء و اسـتمروا يصـطادون السـمک فى يوم السبت علانيه و لم ينفذوا ما عاهدو الله عليه»(وهبة،٢٠٠٢ م :٨١).

عيسى(ع)و معجزاته

استحضر الشـاعر قصـة *عيسـى(ع)* فـى ديوانـه مـرتين؛ الأولـى فـى قصـيدة « تحيـة سركيس» التى أنشدها فى حفلة أقيمت فى القدس، للكاتب الشهير *سليم سـركيس* عنـد قدومه إليها زائرا، و بعد أن يصف هذا اللقاء الشريف يستحضر فيها قصة *عيسى(ع)* و يشير إلى إحدى معجزاته و يقول:

إذا يـــــــــسكرنا بخمرحديثـــه فيدير منه على الجلـوس كؤوسـا
يحيـى الســـــرور الميـت بنكتـة فيريک معجزة ابن مـريم عيسـى

(المصدر نفسه:١٥٢)

المعجزات و الآيات التى أجراها الله على يد *عيسى بن مريم* كثيرة منها إحياء المـوتى، إبراء الأكمه و الأبرص و... كما يقول الله تعالى:

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(آل عمران/٤٩)

استمد الشاعر من قصه *عيسى(ع)* و معجزته لبيان أحاسيسه و عواطفه الجياشـة لعلـم ممدوحه، لأنّ «العلم فى رأى *الرصافى* هو سبيل النجاح فلا حياة اجتماعيـة مزدهـرة فـى ظل الجهالة و الأوهـام، و لا حيـاة سـعيدة مـع التعـامى و التخلـف و الإحجـام»(نـادرى،

۱۳۸۹هـ ش:۹)، و *الرصافی* لا يدع سانحة من سوانح الكلام إلاّ بين مضارّ الجهل و فائدة العلم و الجهل فی وجهة نظره هو الموت، و هذا المفهوم يشير إليه *الرصافی* أيضا فی قصيدة «العلم و الإجازة فيه» التی أنشدها فی قيمة العلم و العالم و يقول:

إنما العلم من معاجز عيسی كم جهول أحياه و هو علی جنازة

(المصدر نفسه:۸۹)

الثانی فی قصيدة «إلی بطل الشرق الأكبر» التی قالها عقب انتصار *الغازی مصطفی* علی اليونان سنة ۱۹۲۳م، يمدح الشاعر *مصطفی كمال* و فی إحدی أبياتها يستمدّ الشاعر قريحته من القرآن، و يتطرق فيها إلی قصة النبی عيسی*(ع)* و يشبه ممدوحه بعيسی*(ع)* فی الإصلاح لأن الرصافی حريص علی مصلحة قومه و مجتمعه لأنّه«قد شبّ فی عصر كانت تتوالی فيه الأحداث فی العالم العربی و قد خيّم الجهل و الفقر و المرض علی البلاد العربية خلال أكثر فترات الحكم العثمانی»(شمس آبادی،۱۳۸۸ :۱) و قد عالج الشاعر مشاكل عصره بكل ما أوتی من قوة فی أشعاره و منها:

و قمت علی البلاد مقام عيسی علی مرضاة من عمی و عرج

(الديوان،ج۲: ۴۳۹)

محمد(ص)

إنّ سيرة نبينا محمد*(ص)* أعظم عون علی معرفة تفسير كتاب الله، الذی كان ينزل تبعا لمناسبات سيرته، و ما يقوله للخلق و جواب ما يقال له، و ما يحصل له تحقيق الحق الذی جاء به و إبطال المذاهب التی جاء لإبطالها، و هذا من حكمة انزاله مغرقاً، كما ذكر الله تعالی هذا المعنی بقوله:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾(الفرقان/۳۲)

و الآن نورد رأی *الرصافی* فی *الرسول الكريم(ص)* بالحرف الواحد: «محمد أعظم رجل عرضه التاريخ و تلك الشخصية العظمی التی يمثلها شخص محمد(ص) قد اجتمعت فيها من عناصر الكمال البشری»، فيلجأ إليه الشاعر للتعبير عمّا يجول فی صدره من أحاسيسه

وعواطفه المرهفة *للنبي(ص)* حيث إختص إحدى قصائده في ديوانه لمدح *النبي(ص)*، و ينشد هذه القصيدة لميلاد *النبي الكريم(ص)* و سماه «حفلة الميلاد النبوي» منها:

وضح الحقّ و استقام السبيل بعظيم هو النبي الرسول
قام يدعو إلى الهدى بكتاب عربي قرآنه ترتيل

(المصدر نفسه:١٧٦)

و يستحضر الآية ٢٨ من سورة الفتح يقول الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الفتح/٢٨)

النتيجة

يمكن إجمال أهمّ الإستنتاجات التي تمّ تأكيدها خلال هذا البحث في النقاط التالية:

قد نجح معروف *الرصافي* في توظيف القصص القرآنية و شخصياتها في ديوانه، و تدلّ الاشارات على وعي الشاعر و صلته بالقرآن. فهو يختار من القصة القرآنية ما يتناسب مع مضمون قصائده و أهدافه الشعرية، و يترك الأجزاء الأخرى من القصّة و يعوّل في إشاراته القصصية على وعي القارئ و معرفته بالقصص القرآنية.

بناء الشخصية في القصة القرآنية الصفات العقلية و النفسية، و في مواضع محدودة الصفات الجسمية و مصداقية كليهما نجد في ديوان الشاعر. و بما أن الميزات و الصفات التي اختصت بها بناء الشخصية في القصة القرآنية متفرده في عمقها و رفيعة في قيمتها و عزيزة المنال في طلبها، إستخدمها الشاعر هذه الصفات في مدح ممدوحيه في أشعاره و المواقف الوصفي في قصائده.

استحضر الشاعر القصة القرآنية في بعض الأحيان بصورة سلبية، بوضعها في غير مكانها اللائق أو يسوقها في معرض السخرية أو التهكم. و القصص و الشخصيات القرآنية التي استخدمها الشاعر في ديوانه هي *آدم(ع)* و قصة هبوطه من الجنة إلى الأرض، *سليمان(ع)* و *بلقيس* ملكة سبأ، *يوسف(ع)* و جماله، *موسى(ع)* و *عيسى(ع)* و معجزاتهما، و *محمد(ص)* و كمالاته.

المصادر و المراجع

القرآن الکریم.

بقاعی، ایمان یوسف. ۱۹۹۴م. **معروف الرصافی نار أم کلم**. الطبعة الأولی. بیروت: دارالکتب العلمیة.

الجیوسی، سلمی خضراء. ۲۰۰۷م. **الاتجاهات والحرکات فی الشعر العربی الحدیث**. المترجم عبدالواحد لؤلؤة. الطبعة الثانیة. بیروت: مرکزالدرسات الوحدة العربیة.

الرصافی، معروف. لا تا. **الدیوان المجموعة الکاملة**. لبنان: دارالکتب الحیاة.

السعدی، عبدالرحمن بن ناصر. لاتا. **تیسیر اللطیف المنان فی خلاصة تفسیر القرآن**. بدون مکان.

وهبة، مصطفی. ۱۴۲۳هـ /۲۰۰۲م . **قصص القرآن**. الطبعة الأولی. مصر: دارالغد الجدید.

المقالات

الأعظمی، ولید. ۱۹۷۳م. «**الرصافی و تأثره بالقرآن الکریم**». الوعی الدراسی.السنة ۱۳. العدد۱۵۳. صص ۱۳-۲۹.

ایروانی زاده، عبدالغنی و أحمد نهیرات. ۱۳۸۸ هـ .ش. «**استدعاء الشخصیات القرآنیة فی دیوان بدوی الجبل**». مجلة الجمعیة الایرانیة للغة العربیة و آدابها. العدد ۱۱. صص ۳۲-۴۵.

شمس آبادی، حسین و اصغر مولوی نافچی و غلامرضا گلچین راد.۱۳۹۱ش. «**القضایا الإجتماعیة فی مرآة شعر الرصافی**». فصلیة دراسات الأدب المعاصر. السنة الثالثة. العدد ۱۳. صص ۹-۳۰ .

نادری، اسماعیل.۱۳۸۹. «**معروف الرصافی محلل اجتماعی للفقر و الحرمان**». فصلیة دراسات الأدب المعاصر. جامعة آزاد الاسلامیة فی جیرفت. السنة ۲. العدد ۸ . صص ۱۱۱- ۱۲۴.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، خريف ۱۳۹۱، العدد الخامس عشر، صص ۲۱-۴۲

إستدعاء شخصيات الشعراء فی شعر محمود درويش

علی نظری *

يونس وليئی **

الملخص

للتراث أهمية بالغة فی الشعر الحديث و استلهامه ظاهرة بارزة عند الشعراء المعاصرين. للتراث مصادر متنوعة، و التراث الأدبی من أغنی المصادر التراثية التی يلجأ إليها الشعراء، و هو نفسه يشمل علی عدة عناصر إحداها شخصيات الشعراء، و هی من أهم عناصر التراث الأدبی بما تحمل من دلالات شتی و طاقات إيحائية. و تهدف هذه المقالة إلی دراسة شخصيات الشعراء المستدعاة عند *محمود درويش*؛ و نری من خلال دراستنا أنه يستدعی من الشعراء الشخصيات التی تحمل دلالة توافق و تناسب تجربته أو التی لها تجربة مشابهة لتجربة الشاعر، و من الشعراء يستحضر *إمرأ القيس* و *جميل بن معمر* و *المتنبی* و *أبا فراس* و ... . هو يستدعی هذه الشخصيات بالنمطين فی شعره، الأول الشخصية عنصرا فی صورة جزئية و الثانی الشخصية محورا للقصيدة.

الكلمات الدليلية: الشعر المعاصر، التراث، الإستدعاء، شخصيات الشعراء، محمود درويش.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية و آدابها، جامعة لرستان(أستاذ مشارک).
alinazary۲۰۰۲@gmail.com

** طالب الدكتوراه بقسم اللغة العربية و آدابها، جامعة لرستان.
الكاتب المسؤول: علی نظری

تاريخ الوصول: ۹۰/۱۱/۱۷ تاريخ القبول: ۹۱/۴/۹